إيران قدّمت «أوراقها»... وامتعاض سعودي-إسرائيلي

واشنطن - جاد يوسف

من المصادفات النادرة أن تحصل تطوّرات سياسية دفعة واحدة، تبدو للوهلة الأولى أنّها متعارضة، خصوصاً إذا كانت تنتسب إلى عالمين سياسيّين تُشغلهما هموم مختلفة.

التطوّر الأوّل تمثّل بنجاح المؤسّسة السياسية الأميركية في تجاوز الانقسام السياسي الذي شلّ الحكومة الفيدرالية جزئياً، وكاد يتسبّب بعجز الولايات المتحدة عن سداد مستحقّات ديونها الخارجية، ما كان سيؤدّي إلى أضرار إقتصادية كونية.

فقد تمكّن الرئيس الأميركي باراك أوباما وحزبه الديموقراطي من تسديد لكمة قوية لخصومه الجمهوريّين، لم يجد معها رئيس مجلس النواب الجمهوري جون باينر سوى كلمة "خسرنا المعركة" لوصف نتيجة المواجهة غير المحسوبة، التي خيضت في لحظة سياسية غير مناسبة ضدّ الرئيس.

لكنّ المفارقة الرئيسة هي أنّ معركة الموازنة، لم تتمكّن من تغيير المعادلة الدولية. فالولايات المتحدة لا تزال تحتلّ مركز العالم، ما دفع كثيراً من المحلّلين إلى "ابتلاع" توقّعاتهم بأفول موقع واشنطن الإقتصادي والمالي والإستراتيجي. لا بل إنّ غالبية الدول الكبرى أعلنت أنّها لن تعيد النظر في علاقاتها الإقتصادية مع أميركا، ولن تسحب ديونها حتى لو لم يتفق الأميركيّون على رفع سقف دينهم. وهذا الأمر مردُّه الى فائض القوّة الأميركية الذي جعلها قادرة على خوض مواجهاتها الإقتصادية والسياسية والعسكرية، وممارسة سيطرتها على المستويات كافة.

نتنياهو أعلن نيّته عقد اجتماع عاجل ومطوّل مع كيري في روما

أمّا التطوّر الثاني فتمثّل في "الإنجاز" الذي مكّنَ إيران من إقناع واشنطن والقوى الدولية من ورائها، بأنّها تسعى فعلاً إلى حلّ أزمة ملفّها النووي، وبأنّها صادقة في تقديم "أوراق" اعتمادها في هذا المجال.

ويقول مسؤول أميركي بارز إنّ ما قدّمته طهران خلال المحادثات مع مجموعة الخمسة زائداً واحداً في جنيف، فاقَ كلّ التوقعات وخلط الأوراق، دوليّاً وإقليمياً. ويتوقّع أن تتسارع الإتصالات الدولية بين القوى المعنية، بنحو حثيث. وقد بدأت الإدارة الأميركية فعلاً تسريع تنظيم حركة الموفدين الذين سيبدأون جولاتهم الأسبوع المقبل، في انتظار المراجعة الشاملة للتنازلات "الجوهرية" التي قدّمتها طهران.

رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتانياهو كان أوّل من أعلن نيته عقد اجتماع عاجل وطويل مع وزير الخارجية الأميركي جون كيري في روما، مع بداية جولة الأخير في المنطقة يلتقي خلالها عدداً من المسؤولين السعوديين والقادة. وليس سرّاً القول إنّ مقابل التنازلات الإيرانية في الملف النووي، هناك بحث في نوع المقايضة وحجمها وطبيعتها ومكانها مع الإيرانيين.

ويشير المسؤول الأميركي صراحة الى أنّ الأميركيين مضطرّون الى إقامة حوار عميق مع الحلفاء، خصوصاً مع الإسرائيليين والسعوديين، الذين صدرت عنهم إشارات واضحة جدّاً تُظهر امتعاضهم من قبول أيّ دور إقليمي مضخّم لإيران في المنطقة. وعلى الرغم من أنّ إسرائيل هي المستفيد الأوّل والأهمّ من رفع التهديد النووي الإيراني، لكن يصعب التكهّن بقبولها بدور كبير لطهران في سياسات المنطقة. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على السعودية، التي غادرت سياسة تدوير الخلافات ومحاولة لعب دور الوسيط المهدّئ، وترفض المساومة على مصالحها الحيوية ومداها الجغرافي.

وتقول أوساط ديبلوماسية عربية في واشنطن إنّ الرياض لن تعيد تكرار تجربة ما سمّي اتفاق الـ"سين . سين" مع دمشق حيال لبنان. فكلّ اتفاق "وسط" مع محور إيران كان يؤدّي إلى خسارة السعودية. واليوم لا يمكن تكرار هذه المعادلة مع طهران، لا إزاء بقاء الرئيس السوري بشّار الأسد ولا إزاء موقعها على حساب الرياض. على الأقلّ هذا ما أعلنته القيادة السعودية، في خطاب الملك عبدالله عن ثوابت المملكة أمام رؤساء وقادة الدول في موسم الحج الأخير.

> **الرياض لن تعيد تجربة الـ«س-س»... فكلّ اتفاق «وسط» مع محور إيران كان يؤدّي إلى خسارتها**

كذلك لم تتأخّر الخارجية الأميركية في الإعلان أنّ كيري ناقش مع السفير السعودي في واشنطن عبدالله الجبير قضايا سوريا ومصر وإيران، مؤكّدةً "العمل من قرب" وفي استمرار مع السعوديين على قضايا متنوّعة. فإذا لم يتمكّن الأميركيّون من إقناعهم بقبول تلك التسوية، التي ستشمل كلّ ملفات المنطقة، سيصعب تحقيق اختراقات سياسية في الملفّات المتفجّرة.

وإذ يعتبر المصدر الأميركي أنّ تحقيق إنجاز سياسي في سوريا دونه عقبات، يؤكّد في المقابل أنّ الإدارة الأميركية غير معنية بعقد أيّ اتفاق مع الأسد بعدما فقد شرعيته في نظرها، والأمر متروك للأطراف الإقليميّين في تقرير مستقبل العملية السياسية، بعدما أبلغ الإيرانيّون أيضاً بأنّ مشارَكتهم في مؤتمر "جنيف 2" مرهونة بقبولهم خريطة "جنيف . 1".

لكنّ السؤال المطروح: هل يقبل العرب عموماً والسعوديون والأتراك خصوصاً بتلك المعادلة التي يمكن أن تُبقي على نظام الأسد حتى لو غادره هو شخصيّاً؟

الأيام المقبلة كفيلة بكشف مزيد من المعطيات. ■

هل أيقَنَ جنبلاط أنّ الجُثّة لن تمرّ؟

طوني عيسى
toni.issa@aljoumhouria.com

هل تكلّم الرئيس بشار الأسد عن معلومات أم تحليل عندما قال: «أنا لا أستبعد أن أرى جنبلاط مجدداً في دمشق»؟ ربما لا هذه ولا تلك. ربما هي طريقة أخرى لتوجيه الدعوة إلى الزعيم الدرزي. تَعال، فالباب مفتوح!

إذا ذهب النائب وليد جنبلاط هذه المرّة إلى دمشق، فالأرجح أن الأسد لن يكون في حاجة إلى الطلب من حلفائه اللبنانيين إقفال الباب عليه. ويقول البعض إن جنبلاط نفسه لن يغامر مجدداً بالخروج. ففي الخارج انتظارٌ على ضفة النهر إلى ما لا نهاية. وإذا كان الأميركيون والروس والإيرانيون والإسرائيليون... ومعظم العرب لا يريدون إطاحة الأسد، فماذا تنتظر قوى لبنانية صغيرة وضعيفة وخائفة على مصيرها، وماذا يُنتَظَر منها؟

أساساً، منذ إسقاط حكومة الرئيس سعد الحريري، لم يقم جنبلاط بأيّ عمل لا يحظى برضى "حزب الله"، لا في السياسة ولا في الأمن. وحتى إسقاط الحكومة الميقاتية، جاء في اللحظة التي يريدها "الحزب". وأما تكليف الرئيس تمام سلام فجاء مشروطاً بتأليف حكومة سياسية تتبنّى ثلاثية "الجيش والشعب والمقاومة". ولذلك، لا حكومة في الأفق.

وما تنَصُّلُ جنبلاط من صيغة "8+8+8"، وتبَنّيه صيغة "9+9+6"، سوى تفصيل تقني. فالصيغتان تضمَنان الغلبة لفريق "8 آذار" إذا كان جنبلاط يتمَوضع سياسياً إلى جانبه. لكن لغة الأرقام تترجم انعطافة في الموقف السياسي، لا تقتصر على الملف الداخلي، بل تتجاوزه إلى الملف السوري. فالهجوم المباشر والعنيف الذي شَنّه جنبلاط على تيار "المستقبل"، واتهام النائب عقاب صقر بالانغماس في النزاع السوري، يؤشران إلى اتجاه جديد للبورصة الجنبلاطية.

> **لا جنبلاط ولا أيّ طرف لبناني آخر سيكونان قادرين على مواجهة الزمن لسنوات أُخَر**

وفي وضوح أكبر، الحريري له طريقته في حماية نفسه... وكذلك جنبلاط. الأول يتغَرّب جسدياً، والثاني يتمرّب سياسيّاً. وطريقة الاحتماء، في قوانين الطبيعة، تختلف وفقاً للأرض وظروف الخوف. ويُصادَف وجود الحريري وجنبلاط معاً في باريس، لكنّ الجامع بينهما هو الوجع. فكلاهما متوعّك جسدياً على الأقل. وما جمعه الوجع تفرّقه المصالح.

بالنسبة إلى جنبلاط، إنها الواقعية أو البراغماتية. وبالنسبة إلى دمشق و"حزب الله"، إنّها علامة الطمأنينة إلى أنّ القرار الجنبلاطي تحت السيطرة. أما بالنسبة إلى "14 آذار" فهي علامة أخرى على أن القرار السياسي كلّه تحت السيطرة.

فالأسد يتدبّر وسيلة للبقاء عاماً آخر، وربما ولاية أخرى. ويواكبه الحلفاء اللبنانيون باستمرار إمساكهم بالسلطة والأجهزة والمؤسسات والإستحقاقات الدستورية، من التمديد للمجلس النيابي إلى تعطيل بانتخابات الرئاسة وتحَكُّم بها. وإيران تفتح حواراً متقدماً مع الغرب.

هل تعبَ جنبلاط من الانتظار على ضفة النهر؟ أم يئِسَ من عبور جثة الخصم؟ أم خاف من أن تَعبُر أمامه جثث الأصدقاء قبل الأعداء؟ أم خاف من تقلبات جوية تؤدي إلى فيضان النهر؟

في ذهن جنبلاط، بعد التجربة المذهلة للكيماوي السوري، وتبلور التواطؤات الإقليمية والدولية في سوريا، بَاتت الصورة واضحة جداً. وهو أساساً حذِر من المراهنات على الـ"توماهوك" والضربة الأميركية. واليوم، لم تعد هناك حاجة إلى التحليل بعدما اكتملت الوقائع وتكفّلت بتقديم الأجوبة.

في أوساط جنبلاط كلام كثير هذه الأيام: إن لبنان دفع 100 ألف قتيل قبل التوصّل إلى إتفاق الطائف. وقد سبقت هذا الاتفاق محاولات عدة لوَقف الحرب، لكنها لم تصمد. واليوم، دفعت سوريا أكثر من 100 ألف قتيل، ولن يتم التوصّل إلى اتفاق في جنيف أو سواها إلا بعد جولات من المعارك وربما 100 ألف قتيل آخرين. فالحرب هناك طويلة، وربما تستمر 15 عاماً أيضاً.

ويخشى جنبلاط أن يدفع لبنان ثمن الحرب في سوريا، فعندما كانت الحرب الأهلية مُندلعة في لبنان، كانت سوريا مستقرّة. أمّا اليوم، فهناك حرب أهلية في سوريا، لكن لبنان غير مستقرّ. وهذا ما يهدّد بانفجار لبنان أيضاً. ولذلك، يجب على الجميع في لبنان أن ينظروا إلى المسألة واقعياً.

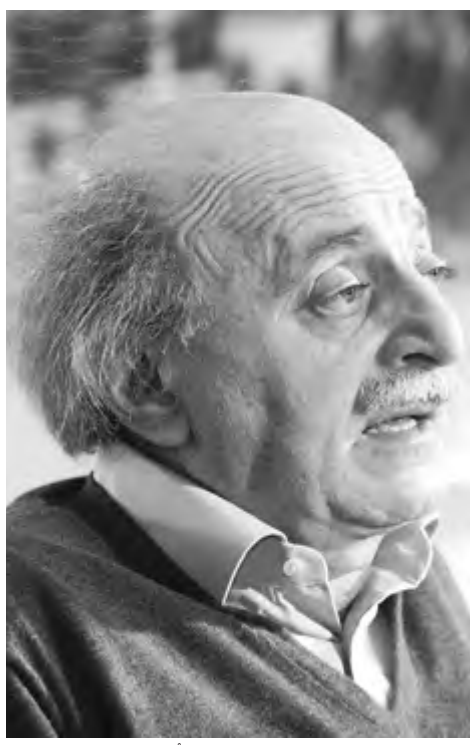
يُنجز اليوم انعطافة جديدة تُداري الوقائع

البعض يعتقد أن جنبلاط ينجز اليوم انعطافة جديدة نحو المحور السوري – الإيراني، تُداري الوقائع، وسيعود عنها عندما تنقلب التوازنات في سوريا مجدداً.

وهذا الاعتقاد صحيح. فجنبلاط لم يتوقف عن الدوران في الحلقات منذ العام 2005، لعلّه يهتدي إلى شاطئ ما. لكن هذا الاعتقاد عبثيّ، لأن سوريا ماضية في توازناتها الحالية حتى الصيف المقبل، وإلى ما بعده، أي إلى ما بعد استحقاق الرئاسة في سوريا ونضوج التسويات المفروضة على الجميع.

لا جنبلاط ولا أيّ طرف لبناني آخر سيكونان قادرين على مواجهة الزمن لسنوات أُخَر. ■